الرمز في قصائد معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين

(شعراء العراق مثالا)

ا. د. أحمد صبيح الكعبي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

الباحث. سلام سلمان حسين

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

Salamalrubaye2@gmail.com

ملخص

نتناول في هذا البحث وسيلة من الوسائل التي أخذت حيزا في الشعر العربي الحديث، وكذلك أسهمت إسهاما كبيرا في تشكيل الصور الشعرية ألا وهي الرمز، إذ يتخذ الشعراء عند ولوجهم عوالم الشعر لا سيما في الشعر الحديث مسارا يبتعدون فيه عن السطحية والتقريرية، جاعلين من الغموض والإيحاء منطلقا للتعبير عن كوامن الذات، وبيان الفكرة التي تستوجب تفاعلا بين الباثِّ والمتلقي، وتجسيد الرؤية التي يتبناها الشاعر، وهذا الأمر يتحقق عن طريق عملية الترميز باستدعاء الشاعر للرموز المختلفة.

الكلمات المفتاحية: قصائد، معجم البابطين، الشعراء العرب.

The symbol in the poems of Al-Babtain Dictionary of Contemporary Arab Poets

(Iraqi poets are an example)

Prof. Dr. Ahmed Sabih Al Kaabi

Student: Salam Salman Hussain

College of Education for Human Sciences/ University of Karbala

Salamalrubaye2@gmail.com

Abstract

We discuss in this research one of the means that took a place in modern Arabic poetry, and also made a great contribution to the formation of poetic images, which is the symbol. A starting point for expressing the latent self, clarifying the idea that requires an interaction between the sender and the recipient, and embodying the vision adopted by the poet, and this is achieved through the coding process by calling the poet to the different symbols.

Keywords: Poetry, Al-Babtain Dictionary, Arab Poets

المقدمة

للشعر الحديث سمات وعناصر أسهمت في عملية تهيئته بصورة مغايرة عن الشعر القديم، وفقا لمتطلبات ذاتية واجتماعية وثقافية وغيرها، ومن هذه العناصر الرمز الذي اشتغل عليه الشعراء الحداثويون اشتغالا فاعلا في الساحة الفنية؛ لأنهم تأثروا تأثرا واضحا بالشعر الغربي، ما دعاهم هذا التأثر لأن يميلوا في أشعارهم إلى الغموض والضبابية والإيحاء، متخذين من الرمز الوسيلة الأهم للتعبير عن أفكارهم لحالة رفض اجتماعية على أغلب الأحيان، ولبيان رؤية مستقاة من الواقع ومنطلقة إلى عوالم أخرى. ولما وجد من إسهام شعري فاعل في التعبير غير المباشر والموحي عند بعض الشعراء في معجم البابطين جاءت الأهمية في أن ندرس الرمز عندهم، وقد قسم البحث على أربعة مباحث؛ المبحث الأول: الرموز الدينية، والمبحث الثاني: الرموز الأسطورية، والمبحث الثالث: الرموز التاريخية، والمبحث الرابع: الرموز الطبيعية. سبقها تمهيد تناول تعريف الرمز لغة واصطلاحا، وانتهى البحث بخاتمة جاء فيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.

التمهيد / الرمز لغة

الرمز في اللغة هو: «تصويت خفي باللسان كالهَمْس، ويكون تحريكَ الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرَّمْزُ إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم (لسان العرب ابن منظور، ١٩٩٩م: ٥ / ٢١٣).

الرمز اصطلاحا:

يتخذ الشعراء عند ولوجهم عوالم الشعر لا سيما في الشعر الحديث مسارا يبتعدون فيه عن السطحية والتقريرية، متخذين من الغموض والإيحاء منطلقا للتعبير عن كوامن الذات، وبيان الفكرة التي تستوجب تفاعلا بين الباثِّ والمتلقي، ومن الوسائل التي يستعملونها في هذا الرمز الذي يكون من العناصر الفعالة في تشكيل صورهم الشعرية. ويسهم الرمز بإضفاء ظل من الحلم على الأساليب الشعرية، ودفع القارئ إلى حب الاستطلاع (محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٩٧٨م: ٣٧).

يمثل الرمز في أغلب الأحيان طغيان السمة الشخصية للشاعر، وكثرة الانفعالات النفسية، ويمثل الطريق الذي يعبر به الشاعر عن الكوامن الذاتية في اللاوعي التي تأثرت بالواقع الثقافي الاجتماعي (دراسة في أدوات الناقد، د. رياض جبار شهيل، مجلة الآداب، ع ١١٧، ٢٠١٦م: ٣٥١) إن الرمز المتخذ من قبل الشاعر لا يمكن أن يكون منعزلا في السياق الذي يشكل دلالة فنية موضوعية، بل يجب أن يكون متجانسا داخل السياق الشعري مؤثرا في عملية التصوير، التي يكون فيها الرمز ثيمة متميزة داخل الصور الشعرية، ذلك لأن:«أغلب الرموز الشخصية التي يصنعها الشاعر إنما تولد داخل الصورة الشعرية، أو مجموع ما تشير إليه الصورة الشعرية ككل موحد، لأن علاقة الرمز بالصورة أقرب إلى علاقة الجزء بالكل» (دير الملاك، ١٩٨٦م: ١٥٩).

والرمز لا يمكن أن يدخل في تكوين الصورة بشكل مادي فقط بل بصورة إيحائية أي إنه: «لا يقف على قدم الأشياء المادية ليصورها، بل يتعداها لينقل التأثير الذي تتركه هذه الأشياء في النفس بعد أن يلتقطها الحس، فهو إذن لا يعبر عنها بقدر ما يعبر عن الأجواء الضبابية المبهمة التي تسربت إلى أعماق الذات المتفرعة المتباعدة الأطراف والأصول» (الرمزية والأدب العربي الحديث، انطون غطاس كرم، ١٩٤٩م: ١٢).

ولا بد أن يكون الشاعر على مقدرة بحسن استغلال العلاقات والأبعاد القديمة للدلالات الإيحائية التي يشعها الرمز، وإضافة أبعاد جديدة تمثل تهيئة شخصية، لأن الرمز يرتبط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، وتمنح الأشياء مغزى آخر (الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ١٩٨).

وعلى الرغم من أن الشعراء استعملوا الرموز القديمة ووظفوها في قصائدهم توظيفا أكسبها حيوية وطاقة متميزة ذات تأثير ملموس إلا أن:«الشاعر المعاصر استطاع أن يخلق الرمز الجديد، أو الدلالة الرمزية التي تنبثق من موضوعه ذاته، إنها رموز خاصة يبتدعها الشاعر ويروح يكررها ويثريها محاولا من خلالها استكمال البناء الفني والموضوعي لقصيدته» (دير الملاك، د. محسن اطيمش: ١٥٨) يعمل الرمز في عملية البناء الشعري عن مداخل نفسية لبيان رؤية الشاعر عن الكون والمجتمع،:» ويعتمد على التشابه النفسي بين الأشياء، وهو ثمرة يقتطفها الشاعر من خلال إدراكه الحَدْسي للعلاقات العميقة والخفية بين الظواهر المادية وما يختبئ وراءها من أسرار، ثم يوظف الطاقة الإيحائية المتولدة من التقاء الأشياء للكشف عن تلك الأسرار»(التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، د. عدنان حسين قاسم، ٢٠٠٠م: ١٦٧). بمعنى أنه: "يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تؤخذ قالبا للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز" (الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، الدكتور محمد فتوح أحمد، ١٩٨٤م: ٤٠) وإذا ما عرفنا العلاقة بين الرمز والصورة وأن الأخيرة تعد بمثابة الوعاء الذي يكتنز الرموز الشعرية، تأخذنا الإشارة إلى مسألة التعبير الغامض الذي يستند على الرمز في تكوين الصورة الشعرية، إذ إن الغموض:»يجب أن يكون غموضا يُشفُّ عن دلالته بالتأمل، لئلا تصير الصورة لغزا من الألغاز» (النقد الأدبي الحديث، الدكتور، محمد غنيمي هلال، ٢٠٠٥م: ٣٩٦) إن الشعر الذي يتخذ الرمز وسيلة فهو شعر: «يكتنفه غموض كثيف وإن كانت معانيه وإيحاءاته بالغة العمق، وكانت نغماته دقيقة الفن محكمة البناء» (الأدب والنقد، محمد مندور، (د. ت): ١١٢ – ١١٣) وهذا الشعر الرمزي يعمل على نقل تجربة علوية في لغة الأشياء المرئية، وكل كلمة فيه تكون رمزا، وتستعمل لا في غرضها العادي، بل لما تثيره من علاقات تتصل بحقيقة فوق الحواس (الأدب وفنونه دراسة ونقد، الدكتور، عز الدين إسماعيل، ٢٠١٣م: ٣٢).

ولا يمكن بشكل من الأشكال تحديد ماهية الرمز أو المصدر الأساس الذي ينبع منه بل:»هو تلك الجوهرة

المشعة التي لا تعرف فيها للإشعاع مصدرا أو مكانا ينبع منه، بل هو انبعاث جميل ينبعث منها ويلقى على ما حولها فيكسبها الجمال والتحليق ويظل هو غير محدد المعنى، وإلا تحول إلى دلالة فقيرة إذا نحن قابلناه بمعنى محدد نستخلصه من العمل الفني، فالرمز هو الخيط الفني الذي يجمع هذه التراكمات من الصور والأخيلة التي تصنع جسما موضوعيا أو ما يسميه ت. س إليوت، المعادل الموضوعي الذي هو في النهاية لا يعادله إلا العمل الفني نفسه» (الرمزية، تشارلز تشادويك، ترجمة، نسيم إبراهيم يوسف، ١٩٩٢ م: ٣٥) وتعددت أشكال الرمز الشعري من حيث المناهل التي ينهمر منها؛ فنجد الرموز التراثية والرموز الأسطورية والرموز الطبيعية والرموز الإنسانية، وكل رمز يشكل حالة معينة فيما إذا انسجم داخل السياق التصويري، معبرا عن رؤية الشاعر.

المبحث الأول: الرموز الدينية

لا شك أن الرمز الديني هو ما يستدعيه الشاعر من شخصيات دينية متمثلة بالأنبياء والأولياء، فضلا عن الطقوس الدينية لمختلف الأديان، وهو: «طاقة من المعنى مزدوجة المنحى، فهو من جهة يؤسس للحكاية كصورة قابلة للتصديق، تمنح الجماعة قوتها ووحدتها، وللمجمع قوامه ونفوذه، ومن جهة ثانية هو دعوة للمعرفة بوصفه لغة تقتضي التأويل"(الرمز في الأدب الأخروي منى طلبة، مجلة إبداع، العدد ١٢، ١ديسمبر ١٩٩٧م: ٩٢) وللشاعرة (حياة جاسم محمد) توغل رمزي ترجم جزءا من بنية اجتماعية في قصيدتها (القرار والقمة) (المعجم، مج ٢: ٢٢٠):

ذو النون ببطنِ الحوتْ
تأكله الظلمةْ
يحلمُ بالحبِّ على شفتَي نجمة
ويموتُ الحبُّ يموت
ويمصُّ الحقدُ عبيرَ الزهرة
في أرض الموتى
عطشى للغيمة
ويموتُ نشيدُ الضوء
ويذيبُ الثلجُ عطاءَ الدفء
يتلاشى الكونُ يموت
ذو النون ببطنِ الحوت
يصرخُ في الظلمة
الرحمةُ أسطورة
يلفظها قلم الشاعر
والحرف قتيل
أبلغُ صوتي
أحمل موتي
والعدم الثائر
.....
لفظ الحوتُ بقايا اللعنةِ من جوفه
للأرض الكبرى
شفة خرساء، وقلب ساخر

يشكل الرمز الديني المتمثل بـ(ذو النون) في هذا النص العنصر الرئيس في عملية التشكيل الصوري، فعن طريقه استطاعت الشاعرة أن تبثَّ نقدا للواقع المعيش؛ فعبارة (تأكله الظلمة) هي بداية تشخيصها للحياة المظلمة التي قيدَ الناس فيها بقيد الظلم، فليس للحب نبضٌ فيها، ثم رسمت لوحة أخرى للواقع عن طريق تشخيصها للحقد باستعارة صفة المص له وهي من صفات النحل، وتصور الحياة أيضا بصور استعارية جميلة من ذلك قولها (يموتُ نشيد الضوء، ويذيب الثلج عطاء الدفء) وهذه الصورة كناية عن انعدام الحياة في هذه الأرض، وتعود مرة أخرى لإظهار فاعلية رمزها (ذو النون) إذ تبين من خلاله انعدام الرحمة وكأنها بدت من الأساطير، وقولها (والحرف قتيل، أبلع صوتي، أحمل موتي) إشارة إلى تضييق الكلمة الحرة، وتختم نصها الرمزي بإشارتها إلى الحياة المأساوية المضطربة، وبذلك يكون الرمز قد شكل رؤية الشاعرة السوداوية من خلال وعيها القائم.

ومن قصيدة (يوسف والرؤيا) للشاعر (زهير زاهد) نلحظ ان الشاعر قد استعان بالرمز الديني المتمثل بالنبي (يوسفﷺ) ليشكل صوره الشعرية فيقول (المعجم، مج ٢: ٤٤٩):

(أصداء الرؤيا)

وانطوى يوسفٌ يلوكُ حناياه

غريبا.. يقطعُ العمرَ حزنا

أبتي.. قد رأيت هاجسة الليل

تصلي. وتشربُ الإثمَ ظنا

قد رأيتُ الكواكبَ البيضَ تهتز (يبدو أن العجُزَ لهذا البيت غير مدون).

والفضاء الوسيع تخنقه الأوهام

سرا.. يلون الأفقَ ضغنا

أبتي.. نحن والحياة تناغينا

نروّي دنيا البراءات لحنا

يملأ الشوقُ مركبي .. يتهادى

يشربُ العصف لا يلاويه وهْنا

فلتثرثر بحقدها موجةُ الوهم

وتستلهم الغوايات معنى

فاكتئاب الأيام غاية رؤياها

وبلوى الحياة ما تتمنى

أسفا يضحك الصباح لعينيها

وفي حاجبيها النور مضنى

هي والبوم خطرة تتشظى

غمزة الفجر في رؤاها وتفنى

استند الشاعر في تشكيل صوره الشعرية على شخصية النبي يوسفﷺ رمزا محوريا بثَّ عبر نوازعه الداخلية، وعلى ما يبدو أن الشاعر قد اتحد مع رمزه في المعاناة، وبدأ يشرح غربته مستعينا بالقرائن اللغوية التي تشير إلى قصة يوسفﷺ ولكنه ضمنها تضمينا يسهم في تفعيل

البنية الصورية، ويخاطب الشاعر بلسان رمزه أباه، فقد رأى الكواكب البيض والفضاء تخنقه الأوهام إشارة إلى التضييق في المجتمع، ويسخر أيضا من ثرثرة موجة الوهم التي بثت حقدها، فهي لا تريد له إلا الظلام، ويتأسف كيف يضحك الصباح لعيني موجة الوهم الحاقدة، وفي حاجبيها النور سقيم وفي هذا كناية عن عدم العدالة في الحياة، ويختم نصه بإشارته إلى تشابه هذه الموجة مع البوم إشارة إلى الشؤم.

ومن الشعراء الذين استعملوا الرموز الدينية الشاعر (غزاي درع الطائي) في قصيدته (أحاديث في ما كان) قوله(المعجم، مج ٩: ٢١):

لا بد سيسقط يوما ما حائط أحزانك يا آدم

فافعل ما تحتاج إليه بنفسكْ

وتكلمْ

حتى البحر إذا ضربتهُ الريحُ يصيحْ

وأنت بكلتا كفَّيها ضربتك الأيام، ولم تتكلم.

يا آدمُ لا تتوقفْ

أو تقعد في الدرب ملوما محسورا

إن المجد يغني خلف النهر

فهل تأتي وتمد إليه جسورا؟

استدعى الشاعر في هذا النص رمز النبي (آدم عليه السلام) وهو إشارة لكل إنسان على هذه البسيطة، ويخاطب الشاعر الإنسان الذي يقبع داخل سجن العبودية والظلم بأن يتحرك ويثور من أجل الخلاص، ويلومه على سكوته وقد ضربته الأيام أي ضربته المصائب، ويحثه بأن لا يتوقف ويقعد متحسرا على حياته، لأن المجد يحتاج إلى السعي.

المبحث الثاني: الرموز الأسطورية:

تعد الأساطير من الموروثات التي تعمل على إلهام الأدباء؛ لما لها من ارتباط فكري بالطبيعة البشرية من حيث الخلق، ومن الناحية السيسيولوجية بوصفها انعكاسا لعوامل وأنساق تأثيرية لها علاقة وثيقة بما تعانيه المجتمعات بصورة عامة، والأدباء من حيث كونهم جزءا من المجتمع بصورة خاصة.

وتمثل الأسطورة: «بنية ثقافية من مجموع البنى المكونة لثقافات العالم عبر تطوره الحضاري، وعبر سيرورته التاريخية، فهي من المجتمعات المشاعية والبدائية، والزراعية والصناعية، والحديثة، إنها جزء مهم من الكل الحضاري المتنوع للمجتمعات الإنسانية" (الأسطورة في الآداب والفنون وبخاصة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، محمد عبد الرحمن يونس، ١٩٩٨م: ١٦٩ – ١٧٠).

والأسطورة بمفهومها الأدبي هي التي تمثل الحديث عن القصص الخيالية الخارقة المرتبطة بالجن والشياطين والأبطال الخارقين والعالم الميتافيزيقي.

وتوظف الشاعرة حياة النهر رمز (الغيلان والعملاق) في قصيدتها (الشتاء العريان – صورة من التاريخ –) (المعجم، مج ٢: ٢١٨):

لياليهم

أغاريد وأقمارُ

وليل الآخرينَ يديفُه التعب

يدق الباب كالغيلان

ليل قارس مظلم

وتلهو الحور والولدان

تفرش دربهم وردا

ويلسع لسعة الأرقم

شتاء قارس عريان لا يرحم

وهذا الأسود العملاق

يكتب قصة والماء يمسحها

على الإسفلت

قصة ميت ما مات لو أسلم

ولكن مات إذ سلّم –

وظفت الشاعرة الرمز الأسطوري المتمثل بالغيلان والعملاق؛ إذ أغنت نصها بما يسهم في عملية البناء التصويري المتقن، إذ رمزت بالليل – الذي شبهته بالغيلان واستعارت له صفة الدق – إلى السلطة الظالمة بكل أنواعها، فالشاعرة عقدت مقارنة بين ليالي من هم متنعمون، ومن هم يعيشون الموت كل لحظة، وتشبه الشتاء العريان بالأرقم وهو ذكر الحيات فرمزت به إلى القسوة التي يمارسها الظلمة، وهي أيضا صورة استعارية رمزية، وتأتي برمز العملاق الذي ربطت معه الإنسان الذي إذا استسلم للظلم يموت.

وفي قصيدة (من أوراق جلجامش) يوظف الشاعر سليم الشيخلي الرمز الأسطوري فيقول (المعجم، مج٨: ٤٢٢ – ٤٢٣):

(٣)

من قال «لا» فقد كفر

ومن سكت

كصخرة صمّاء في ممر

لغزٌ يرى في أمره ما بين أقبيةٍ ودهليزٍ وجر

ومن «نعم» فقد ظفر

(٤)

الليل يا أمي الحزينة

لو كنت جئت على سفينة

لتكت حب الأرض، أمتشق البحار

أعلنت أفراحي بسورات المياه

أشعلت نفسي سندباد

كل الذين أحبهم تركوا البلاد

وبقيت وحدي شاهد الدم الذبيح

(٥)

مات أبي وبيننا الحدود

وغابة الغيلان، ثلة الجنود

والسفن المحروقةُ

مرميةٌ، على الرصيف عارية

رثيته أن تنزل الرحمة

وسرت في الزحمة

(٦)

قبلتُ كف قاتلي مبتسما

فقال لي: والدم؟

فقلت: لا تهتم

أومأ لي حصانُه

أسرجتُه، أركبنس، أسرجنا

وسرتُ دونَ فم.

(٧)

أنكيدو.. أبلغ كل سلامي للأطفال

أخبرهم أني راحل

أبحث عن خبز يكفي الجبهة الشرقية

ونبت أشبع منه خلود.

عند النظر في هذه اللوحات الفنية التي صورها الشاعر مستعملا الرموز الأسطورية نجد أنها تمثل وصفا للواقع الذي يعيشه الإنسان المضطهد، في ظل تفشي الخيانة في المجتمع. لأن الرمز الأسطوري يمثل نافذة ينظر الشاعر من خلالها معبرا عن همومه(الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبد القادر فيدوح، ٢٠١٠م: ٣٩٨). ويصف حال الفرد الذي يعيش الاستبداد بقوله (من قال لا فقد كفر)، ومن قال نعم فقد ظفر أي من أيد الظلم فقد كوفئ، ثم يستجلب الشاعر رمز سندباد بمخاطبة أمه التي يبث شكواه لها، و(أشعل نفسه سندباد) كناية عن المعاناة والغربة التي يعيشها بعد نأي كل أحبائه، ويأتي برمز الغيلان مرمزا للعسكر الذين يمثلون أدوات الظالمين، ويعطي صورة جميلة للإنسان الذي يعيش حالة اليأس والمظلومية من قبل المستبد بقوله (قبلت كف قاتلي مبتسما)، ثم يستدعي رمز أنكيدو الذي تقمص شخصية أخيه جلجامش بأنه سيرحل بلا رجعة يبحث عن رغيف الخبز وفي ذلك إشارة إلى حالة الفقر والحرمان اللتين يعيشهما الإنسان.

ويوظف الشاعر محفوظ داود سلمان الرموز الأسطورية في قصيدته (أصوات) التي قال فيها(المعجم، مج ٤: ٣١٢):

ليت لي أن أقايض هذي الدروب

برؤى من قرارة بحر بعيد صداه

بفضاءات حلم نقي بترتيلة أو صلاه

ليتني سارق النار أو كنت أنكيد ابن البراري

عابرا في هوى الليل، أو نازفا في صحاري

ليت لي أن أمزق هذا السراب البعيد

وأنادم فيها رمال التمرد أرقى جبال الجليد

ليت لي صخرتي عابثا في الذرى والهضاب

أو أقايض هذي السكينة بالريح والعصف

أجمع فيها الضباب

ليتني مثل عوليس فيها شريد

ليت لي في الضفاف البعيدة بنلوب تغزل ..

أوهامها أو تعيد

وأنا عابر في المسافات في كل يوم .. نداء جديد

يبدأ الشاعر هذا النص بالتمني وهي دلالة على فقدان شيء ذاتي يسعى إلى الوصول إليه، لذلك نراه يلجأ إلى البحر موظفا الرمز أنكيدو الذي يبحث في البراري والصحاري من أجل الوصول إلى المبتغى، ويعلن في حال من حالات التمني رفضه بقوله (ليت لي أن أمزق هذا السراب البعيد)، و (وأنادم فيها رمال التمرد أرقى جبال الجليد)، فهو يريد كسر قيود التضييق، ونراه يتمنى مشبها نفسه بعوليس الذي يبغي أن يتحصل على زوجته بنلوب، ثم عطي صورة لحياة الحرية بقوله (وأنا عابر في المسافات في كل يوم .. نداء جديد)، فقد أسهمت هذه الرموز بتحقيق مبتغى الشاعر في تشكيل صوره الشعرية المؤثرة في المتلقي.

المبحث الثالث: الرموز التاريخية:

وهي الرموز التي يستدعيها الشاعر وتتمثل بالشخصيات التاريخية القديمة على اختلاف تأثيرهم في الحياة، ومنهم القادة والأدباء وغيرهم.

والعلاقة بين الأدب والرمز التاريخي لا ينبغي أن تكون علاقة أخذ ونقل بصورة حقيقية؛ بل ينبغي أن يعمل الأديب على توظيف الأحداث والشخصيات توظيفا فنيا يعمل على جعل المتلقي في حال ارتباط فني مع ماضيه؛ لأن الأحداث ليست متعلقة بمدى ما يرسمه الأديب نفسه، فهو بذات الوقت ينبغي له أن يحقق الهدف والوظيفة الأدبية المتمثلة بالتفاعل الاجتماعي.

وممن وظفوا الرموز التاريخية الشاعر (عبد الهادي الفرطوسي) في قصيدته (أبرهة والعاشق والحلوة) بقوله(المعجم، مج ٣: ٥٣٥):

وعلى غرة

يدخل أبرهة والفيلُ

فتهرب كل الكلمات الحلوةِ

والأنهارُ تجفُّ

وبحر الخوفِ يموج

تغيمُ عليَّ همومٌ مرة

يتقدمُ أبرهةُ والفيل وحشد عناكبَ

تنسجُ حولي أعشاشا

سوداءُ بلون الموت

يغيم بعينيَّ دخانٌ أزرق

يبقى وجهكِ منتصبا كالرمحِ

بهيا كالصبحِ

ينزُّ جراحي كالملحِ

ويهمسُ في أذني

لا تفزعْ

يتبدد عني فزعي

أصرخُ منتفضا:

تبا للخوف إذا جاء إليَّ وأنتِ معي

يستعين الشاعر في هذا النص بالرمز التاريخي المتمثل بـ (أبرهة) الذي يعطي دلالة الشر؛ فالشاعر الذي يعيش في بحبوحة الحياة الجميلة، حياة العاشق يدخل في حياته ذلك الحاكم المتجبر، فتهرب كل الكلمات الجميلة، وتغزوه الهموم، ويرمز أيضا بالعناكب التي تنسج حوله أعشاشا سوداء إلى حاشية الحاكم الظالم، وهو في هذه الصراعات يلجأ إلى وجه حبيبته الذي يبعث فيه روح الثورة بوجه الظالم، والشاعر هنا يمثل حالة اجتماعية فهو يتحدث بلسان الناس الذين يقبعون تحت حكم الجلادين، وبذلك يكزن الرمز التاريخي قد أدى الغرض الدلالي.

وللشاعر (معِد الجبوري) توظيف رمزي تمثل في قصيدته (بطاقة عبور) قال فيها(المعجم، مج ٥: ٣٤٦):

مرة .. بين المرايا حاصروني

حفروا بالسيف صدري وجبيني

قبل أن أفقد ظلي

نهض الحلاج من رأسي..

رمى جبته بين عيوني

فارتميت

ثم عانقت بقايا جثتي

وتشظيتُ على مشنقتي

وأتيت

بعد أن أصبح وجهي..

مصحفا في كل بيت.

يمثل هذا النص بنية حكائية اعتمدها الشاعر في شحن ذهن المتلقي، ثم وظف داخلها رمزه المتمثل بالحلاج، مما أعطى بعدا تصويريا حيويا، فالشاعر هنا رافض للظالم والسلطة الظالمة، وهو الذي تعرض لأشد العذاب لكنه وبرغم كل هذا نهض ورفض ذلك الظلم، ليصبح ذكره في كل بيت، أي إن هذا الرفض أصبح مثالا يحتذى به، كما الحلاج الذي أصبح منهجه في الرفض مثالا للثائرين.

المبحث الرابع: الرموز الطبيعية

تمثل الطبيعة التي هي: «مجموع الموجودات الماثلة في العالم خارج الأشياء المصنوعة من طرف الإنسان(الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة، محمد سبيلا واخرون، ٢٠١٣م: ٥)"، مصدرا مهما من مصادر التفاعل والإبداع لدى الشعراء؛ لأنها تمثل حالة من حالات الارتباط الفطري والإنساني بما يتفاعل معه الإنسان، فهي تشكل مصدر عطاء ونبع إلهام للإنسان في مجالات حياته منذ القدم، فالطبيعة بما تحتويه من عناصر خلْقية تهيئ حالات انفعالية تستدعي تشكيل قدرات ذهنية تسهم في تحريك القوى الداخلية للإبداع.

وهي بذلك تمثّلٌ رمزيٌّ يسهم في تهيئة اللغة الرمزية التي يريدها الشاعر؛ إذ يلجأ إليها حين لا يريد التعبير الواقعي عن حالة رفض معينة لأحداث اجتماعية.

وممن استدعى الرموز الطبيعية والرموز المستحدثة الشاعر (الفريد سمعان) في قصيدته (تحية إلى النجوم) بقوله(المعجم، مج ١: ٥٦٤):

خلعت ذراك ثيابهَا الخضراء

وانتحبت على الأجداث

زقزقة الطيور

وتهالكت ألواح زورقنا الطرية

فوق أحداق المرافئ

وامتطت أكبادنا اللهفى

أعاصيرٌ معربدةٌ

عصورْ

وتقاسمتْ دمنا الرزايا السود

أعطبت الشفاه

مخالب العملاء.. شَقّت في الصدور

نفقا من الآهات

وامتحنت بنا الأيام

وانهزمت نسور

ذعراً.. وأورقت النذور

عطشت ظلالك.. يا عروق الشهد

واكتسح الهجيرْ

صلواتنا ... يبست حناجرنا الهتوف

تقطعت أنفاسنا.. همساً

وأصراراً .. وأينعت الذرى

صارت مشاتل للكفاح

تعلمت .. حتى الصخور

منا.. وما زالت تدور

نفس المطاحن

ما تزال قيودهم

تمتصُّ وجنات الزهورْ

استند الشاعر في هذه القصيدة على مجموعة من الرموز من مثل (أعاصير معربدة، الرزايا السود، مخالب العملاء، الهجير)، إذ شكلت محورية رمزية تتابعية في تكثيف الدلالة الإيحائية، وأعطت هذه الرموز دلالات ألقت بظلالها على البنية الذاتية للشاعر، وامتدت إلى البنية الاجتماعية، فالشاعر يريد أن يصور الحياة المحملة بالمآسي، فمثلت الأعاصير المعربدة دلالة الشر، وكذلك الرزايا السود التي تقاسمت الدماء كناية عن كثرة القتل، وأعطبت الشفاه إشارة إلى لجم الصوت الحر، ومخالب العملاء هي رمز للشر والخيانة، فقد شقت في الصدور نفقا من الآهات، ثم جاء برمز الهجير إشارة إلى شدة التعب والعناء،

ليعطي في النهاية نتيجة عن بقاء الواقع كما هو، بعبارة (وما تزال قيودهم).

ووظفت الشاعرة (آمال الزهاوي) الرمز الحيواني بقولها في قصيدة (الحرباء)(المعجم، مج ١: ٦١٧):

في هذا العصر المقلوب اشتبكت فينا الأسماء

أي الألوان ستلبسها الحرباء

تنتفخ الكذبة حتى تغدو جسداً ورقياً

ويكون لها صوت ونداء

ثوريون بسيقان خشبية

في عصر مجنون تسحقه

الأقدام الغابيه

السم تقطَّرَ

النور سرى أشباحاً

مطر في الصوت وفي القلب وفي العينين

يلوون الحدة في نبض الماء

يمدّون حرائق كالسور

يحيطون نجوم الثوار المطبوعة في المد

ويشتبكون برفض يتكسر

كشعاع أبدي

يحضنه البرق ويبكي

ألق مخنوق في أحلام الناس المنفيه

فمتى الوعد؟

شكل رمز الحرباء في هذا النص العنصر الأساس في عملية التصوير الشعري، وأسهم في إغناء الدلالة التي تمثلت ببيان زيف هذا الواقع، إذ إن الحرباء رمز دخل في حيز المجتمع، ومثل صورة للتلون والنفاق، وأكد هذا مجموعة من القرائن كانت مصداقا للدلالة الرمزية منها (أي الألوان ستلبسها، تنتفخ الكذبة..، ثوريون بسيقان خشبية، عصر مجنون)، فالشاعرة استطاعت بهذا النص المرمز أن تستجلب في ذهن المتلقي مجموعة من التصورات للواقع، فهؤلاء الثوريون بسيقانهم الخشبية لا يمثلون الثورة الحقيقية ضد الظلم، وتلجأ الشاعرة إلى الطبيعة لتكون صورة غرائبية متمثلة بصورة الأشباح التي تنفذ عبرها إلى ذلك العالم الذي يمنع نجوم الثوار من الإضاءة، وفي هذا دلالة على التقييد الذي يعانيه الناس، لتختتم النص باستفهام استنكاري عن ذلك الألق المخنوق في أحلام الناس المنفية، فهي تدعو إلى التخلص من هذا الخناق الذي أرغم الناس على الهجرة.

وفي قصيدة (خرافة الرعيان) للشاعر (صالح جواد الطعمة) توظيف للرمز الطبيعي قوله (المعجم، مج ٢: ٧٤٧):

في مقبل الأجيال سوف يطل عام

قد أثقلت أذياله الأرزاء، من غضب الإله

لِمَ دنّس الشرق الطغاه؟

وغفا بنوه عن الأثام، على الذنوب؟

واذا ببنت الشرق، يدفنها الغمام،

والنور، يخنق مولد النور، الغروب

ويمد في أرجائه البيضاء أقبية الظلام

حتى النجوم، سنى النجوم يموت في ليل الخطوب

ولسوف يجثو الليل، لا يضنيه غير رضى الإله

فيطوف في محرابه في الشرق، أفواج العبيد

وتريق فيه من القرابين الدماء

لتطهر الشرق المقدس من مآثم كل جبار عنيد،

وتظل تنهر بالبغاة الآثمين، بكل جبار عنيد

حتى يعود لها السنى، وتجود بالنُّعمى، السماء !

يستند الشاعر في هـذا النص على رمزين طبيعيين هما (الغروب، والليل) وهما محور أساس في التوظيف الرمزي؛ فالغروب الذي يخنق مولد النور ويمد في أرجائه البيضاء أقبية الظلام رمز للسلطة الغاشمة الظالمة التي تجلب الويلات، وجاء برمز الليل الذي رمز به إلى السلطة الظالمة أيضا، وعلى سبيل التصوير الساخر استشرف بزوال الحكام؛ فكيف بأفواج العبيد وهم يطوفون حول الليل (رمز الظلم) ويقدمون القرابين أن يتخلصوا منه؟! ويأتي الشاعر (غريب صالح) موظفا الرمز الطبيعي (الطين) في قصيده له اسماها الطين فيقول (المعجم، مج ٤: ٢٠):

هل لهذا الطينِ صوتٌ ساحر.

هل لهذا الطين عين ساحرة؟

أو لهذا الطينِ صمتٌ قاهرٌ؟

هل لهذا الطينِ نفسٌ قاهرة؟

أم لهذا الطين تاريخ من الأفواه تصرخ؟

بالشفاه الصابرة

فأجاب الطين سرا

إننا في الصبر حتما نتجمع

إنها لب الحقيقة

فأنا الطينُ أصنّع

للمرايا للخصور اليانعة

شكل الطين في هذه الأشطر رمزا محوريا في تشكيل البنية التصويرية، وفي إثراء النص بالدلالات الرمزية الحيوية؛ فالطين هو الأصل في خلق الإنسان، والشاعر هنا يخاطب البشر مستفهما عن أسباب صمته وصبره في هذه الحياة، فهل لهذا الإنسان صوت ساحر، وعين ساحرة، أم هو قابع في صمته وليس له أي تاريخ يذكر، فالشاعر هنا أراد توجيه النقد لهذا الإنسان الصامت الذي لا ينتفض بوجه الظلم، ثم إنه يجد الإجابة من الطين ذاتـه؛ ليتبين أن الحياة الهانئة لا تكون للناس الصلحاء بل للناس المترفين المنعمين بدلالة (المرايا، والخصور اليانعة) وهما من دلالات الزينة.

ونرى الشاعر (فوزي السعد) قد استعمل الرمز الطبيعي المتمثل بالديك في قصيدته (ديك الأنابيب) بقوله (المعجم، مج ٤: ١٤٥):

لم يعد فوق رأسك عُرف طويل

خوذة للمحارب بين الديوك

وصياحك لا يوقظ الآن

حتى ذباب المزابلِ،

... إنك لا تعرف الفجر أصلاً،

تركْتَ السطوح،

لترقد في علبةٍ

من صفيح النعاس!!

****

لم تعد تنفش الريش

تشهر جُنحيك غيظاً

بوجه غريم هواك

فإنّ إناثَكَ يحرث أجسادهن الهيام

وأنت بلا شهوة الديكة!!

****

لو أرادوا اختبار الفحولة فيك

تمتطي ظهر أنبوبة

ليس أنثاك...

يا ابن ديوك الأنابيب،

هلا كسرت زجاجة عجزك

... عدت إلى بيضةٍ

تحت دفء الأمومةِ،

والحُبِّ،

والشمس...

لا تحت آلةِ سلْق المشاعرِ..

عند الفراخ!!

فقد أعطت هذه القصيدة بكاملها دلالة رمزية، عبر الشاعر فيها عبر رمز الديك عن تخاذل ذلك الإنسان الذي اضمحلت عنده صفات الرجولة؛ لأن الديك رمز للفحولة والرجولة، والشاعر هنا أراد السخرية فذكر الصفات السلبية التي بات يتصف بها الإنسان العربي، فـ (العرف الطويل، والصياح، نفش الريش، إشهار الجنحين) كلها صفات يتمتع بها الديك الأصيل، لكن الشاعر هنا قد نفاها عنه، بل أعطى نقيضها؛ ليعبر عن رفضه لما عليه هذا الإنسان، وبذلك يكون الرمز قد أدى الغرض الفني من حيث أنه حقق رغبة الشاعر في نقد الواقع.

وممن استدعوا الرموز الطبيعية في شعرهم الشاعر (نصير النهر) في قصيدته (وفاء) من ذلك قوله (المعجم، مج ٥: ٥٤٨ – ٥٤٩):

تمر العصافير مقهورةً،

تثقل الأغنيات بحزن النواطير،

قد سرقوا الكرم،

واعتصروا من شفاه الحبيبة كل النبيذ،

وداسوا الفراش الذي لم يدنسه لوث،

ولم تتليَّل عليه الظهيرةُ ..

داسوا الظهيرةْ

ورأس الحبيب الذي علقوه بحبل الضفيرة

وتبكي العصافير شعر الحبيبة

تقرأ فاتحة الدمِ

يا قهرها

لو تكون البزاة

لكانت على الأرض البزاة

لكانت تحد مناقيرها في الجراح

فتنكؤها

والدماء عناقيد نار

تحرّق فوق المسيح صليبه

لقد طفح الكيل

إن العصافير حين تصير البزاة ديوكا

تحد مناقيرها

والنواطير..

والنواطير..

تبقى كلابا

إذا لم يهزَّ المسيح صليبه

زخر هذا النص بمجموعة من الرموز أسهمت في شحن الصور بالإيحاءات الشعرية، وظف الشاعر (العصافير، النواطير، البزاة، المسيح، الديوك، الكلاب) فأراد بكل هذه الرموز بيان حالة الظلم التي يعيشها الإنسان في ظل الجائرين الذين قتلوا الحبيبة التي تمثل الحياة الجميلة، ورمز النواطير إشارة إلى الحراس الخونة غير المؤتمنين على البلاد، ويمثل رمز البزاة هنا السلطة الجائرة، ثم يربط الشاعر دلالات هذه الرموز برمز المسيح الذي الإنسان المظلوم، ليشير بأن هذا الواقع يبقى قائما بظلمه مالم يهز هذا الإنسان صليب الظلم والجور، أي مالم يثر ضد الظلم.

الخاتمة.

تبين لنا من خلال البحث ما يأتي:

١. اتخذ الشعر الحديث من الرمز عنصرا مهما من عناصر تشكيله وصيرورته؛ لأنه قد تأثر بعوامل كثيرة دعت الشاعر بأن يلجأ إلى الغموض والإيحاء في التعبير عن رؤيته.

٢. شكل الرمز في قصائد البحث عنصرا محوريا في رسم الصور الشعرية وتشكيلها؛ لأن للصورة الشعرية مجالات متعددة من حيث مصادرها وأنماطها ووسائل تشكيلها، والرمز عنصر من عناصر تشكيلها.

٣. أعطى الرمز دلالات إيحائية أغنت النصوص بالطاقة الشعرية التصويرية، وذلك عن طريق انتقاله بالنصوص إلى فضاءات التأويل.

٤. تعددت أشكال الرموز فكان منها الديني الذي تمثل بالأنبياء؛ كالنبي يونس ويوسف وآدم عليهم السلام، والأسطوري؛ كأسطورة كلكامش وبعض الأساطير التي تحدثت عن السعالي وغيرها، والتاريخي؛ كأبرهة الحبشي والشاعر الحلاج، والطبيعي الذي اشتمل على محاور الطبيعة كلها.

٥. شكل الرمز الطبيعي الجزء الأكبر من البحث وهذا طبيعي؛ لأن الشاعر مرتبط بالطبيعة في كل مجالاتها فهو إنسان أولا وآخرا.

المصادر والمراجع:

١. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبد القادر فيدوح، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ٢٠١٠م

٢. الأدب وفنونه دراسة ونقد، الدكتور، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٩، ٢٠١٣م.

٣. التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

٤. ديـر المـلاك (دراسـة نقديـة للظواهـر الفنيـة في الشـعر العراقـي المعـاصر)، د. محسـن اطيمـش، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، العـراق – بغـداد، ط٢، ١٩٨٦م.

٥. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، الدكتور محمد فتوح أحمد، دار المعارف القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

٦. الرمزيـة والأدب العـربي الحديـث، انطـون غطـاس كـرم، دار الكشـاف للنـشر والطباعـة والتوزيـع، بـيروت – لبنـان، (د. ط) ١٩٤٩م.

٧. الرمزية، تشارلز تشادويك، ترجمة، نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، ١٩٩٢م.

٨. الشـعر العـربي المعـاصر (قضايـاه وظواهـره الفنيـة والمعنويـة)، عـز الديـن إسـماعيل، دار الفكـر العـربي، القاهـرة، ط٣، ١٩٧٨م.

٩. الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة، محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٤، ٢٠١٣م

١٠. في الأدب والنقد، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

١١. لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور ٦٣٠ – ٧١١ هـ، طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها، أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ج٥، ط٣، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٢. مصادر الأسطورة في الآداب والفنون وبخاصة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، محمد عبد الرحمن يونس، مجلة آفاق المعرفة، سوريا، ع ٤٢٣، ١ ديسمبر ١٩٩٨م

١٣. معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٤. النقد الأدبي الحديث، الدكتور، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، ط٦، ٢٠٠٥م.

١٥. النقد التطبيقي والموازنات، محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي بمصر، ط١، ١٩٧٨م

المجلات.

١. الرمـز في الأدب الأخـروي (تطبيـق تأويـلي عـلى رحلـة المعـراج)، منـى طلبـة، مجلـة إبـداع، العـدد ١٢، ١ديسـمبر ١٩٩٧م

٢. الصورة الفنية معيارا نقديا، دراسة في أدوات الناقد، د. رياض جبار شهيل، مجلة الآداب، ع ١١٧، ٢٠١٦م – ١٤٣٧ هـ